

المنشور الأول

توطئة و تقديم للمقياس

تقديم:

هذه المطبوعة تحتوي على المحاضرات الخاصة بمقياس جيوبوليتيك العالم المعاصر لطلبة السنة الثانية بالمدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية.

و بما أنّ هذا المقياس يؤكّد على وظيفة الأدوات في فهم و تحليل الظواهر الجيوسياسية، فقد التزمت بمضمون المقرّر ، بحيث ركّزت المطبوعة على الجوانب الأداة الوظيفية التي يحتاج إليها طلبتنا، لأنّها تسمح لهم بتطبيق هذه المدارك و الأدوات العملية.

و نقصد بأدوات التحليل الجيوسياسي، الوسائل التقنية و الأدوات المعرفية التي تجعلنا قادرين على فهم الظواهر الجغرافية و الطبيعية و تأثيرها على العلاقات الاجتماعية و من بعدها العلاقات السياسية، سلمية كانت أو تنازعية.

و من جملة هذه الأدوات، اخترنا أهمّها و هي **الخرائط** بوصفها أداة تطبيقية فعّالة تسمح لنا بتكوين صورة شاملة عن مختلف الظواهر و القضايا الجغرافية، ثم تناولت **الموقع الجغرافي** بمختلف خصائصه لإدراك تأثير الموقع على سياسات الدول من خلال ما يطرحه من خيارات و بدائل، مستدلينّ على ذلك بأمثلة واقعية تبرز دور هذا العامل الجغرافي-سياسي.

و بعدها تناولت المطبوعة دور **التضاريس** و **المناخ** في تحديد السلوك السياسي للدول، انطلاقا من إسهامات المفكرين و علماء الاجتماع و الفلاسفة إلى آخر القضايا و النزاعات الدولية التي تبرز دور هذه العوامل و قوتها.

كما تناولنا **الموارد الطبيعية** باعتبارها رهانا من الرهانات الجيوسياسية، باعتبار توزيعها على المستوى العالمي لا يتسم بالتوزيع العادل بل بالتمركز في مناطق محدّدة نسبيا، و هو ما ينطبق بالدرجة الأولى على مادتي النفط و الغاز، كأهم مصادر للطاقة و بالتالي إبراز أسباب التنافس و التنازع بين الدول الصناعية الكبرى لتأمين مواردها الطاقوية .

بيد أنّ التطرّق إلى الأدوات التطبيقية لا يستقيم دون تناول العناصر النظرية و المعرفية التي ساهمت في صياغة مختلف المدارس و المقاربات الجيوسياسية، و بما أنّه لا يمكننا القيام بجرد جميع هذه المدارس، قمت بالتركيز على أهمّها و هي **المدرسة الجيوسياسية الألمانية** انطلاقا من أعمال فريدريك راتزل، و رودولف كيلين و هاوشوفر و وصولا إلى تطبيقاتها على أرض الواقع من خلال السياسة التوسعية النازية.

و من بعدها، تناولت الدراسة **المدارس الأنجلوساكسونية** بشقيها البريطاني و الأمريكي ، انطلاقا من أعمال ماكيندر الأساسية إلى نظريات سبيكمان في الولايات المتحدة، و كيف كانت منطلقا لاستعمالات و تطبيقات أكثر تعقيدا من خلال سياسات الاحتواء التي اعتمدها الولايات المتحدة الأمريكية في فترة الحرب الباردة، و لا تزال بعض من آثارها مستمرة و تظهر في خيارات معينة كتوسعة الحلف الأطلسي و محاولات عزل و خنق روسيا.

و في الأخير تناولت الدراسة المقاربات الجيوسياسية الروسية، و التي تعتبر المقاربات الأكثر اختلافا و تنوعا، مقارنة بالمقاربات الغربية، و هو ما يقود الدراسة للتركيز على عوامل الهوية و القيم لإدراك و فهم أسباب التذبذب الحاصل في الخيارات الجيوسياسية الروسية.

تقسيم الدراسة:

- المحاضرة الأولى: نشأة التفكير الجيوبوليتيكي.
- المحاضرة الثانية: التأسيس لعلم الجغرافيا السياسية.
- المحاضرة الثالثة: الخرائط و دورها في التحليل الجيوسياسي
- المحاضرة الرابعة: الموقع الجغرافي
- المحاضرة الخامسة: التضاريس و المناخ
- المحاضرة السادسة: الثروات و الموارد الطبيعية:
- المحاضرة السابعة: الجغرافيا السياسية الألمانية:
- المحاضرة الثامنة: الجغرافيا السياسية البريطانية:
- المحاضرة التاسعة: الجغرافيا السياسية الأمريكية.
- المحاضرة العاشرة: المقاربات الجيوسياسية الروسية

المنشور الثاني : المحاضرة الأولى و الثانية .

المحاضرة الأولى: نشأة التفكير الجيوبوليتيكي.

لم تخلو كتب المفكرين و الفلاسفة القدماء من ذكر العوامل الطبيعية و تأثيرها على سلوك الفرد و المجتمع. و بما أنّ الدولة مجتمع كباقي المجتمعات و لا تختلف عنها إلا من حيث درجة التنظيم و التعقيد (المجتمع السياسي) فإنه لا محالة، سيصيبها ما أصاب المجتمعات الأخرى من تأثير. و لكي نفهم هذه العلاقة (علاقة التأثير و التأثير) كما فهمها الأولون، لا بد أن نعرّج أولا على موضوع تطور المعرفة الجغرافية عبر التاريخ و من ثمّ سنتطرق إلى موضوع البيئة الطبيعية (الجغرافية الفيزيائية)، و الإنسان و الدولة ككائن سياسي طبيعي كما تصوره بعض الفلاسفة و المفكرين و علماء الاجتماع ، كمدخل لفهم تطور المسار الطويل الذي سمح بظهور علم الجيوبوليتيك في الربع الأخير من القرن التاسع عشر.

تطور المدارك و المعارف الجغرافية:

يرتبط تطور التحليل الجيوسياسي بشكل كبير بتطور المدارك و المعارف الجغرافية. فالجغرافيا حقيقة موضوعية تتجسّد ماديا في شكل خرائط ، فلقد حاولت الحضارات القديمة أن تؤسس إدراكات محدّدة للفضاء الذي نشأت فيه و توسّعت لتشكّل إمبراطوريات و ممالك متلاحقة.

فلقد اعتمد البابليون على علم الفلك لفهم محيطهم و بيئتهم المكانية و الزمانية. أما الفارسيون فقسّموا العالم إلى سبعة أقاليم (كشور) و جعلوا كلّ إقليم يتشكّل من سبع دوائر متساوية، و وضعوا دولتهم في الدائرة المركزية الرابعة لأحد هذه الأقاليم السبعة، و الدوائر الستة المتبقية حول دائرة المركز، بحيث ترتبط جميع الدوائر بعضها ببعض على شكل حلقات.^[1]

و استفاد علماء الإغريق من المعرفة الجغرافية الدقيقة و المنظمة التي خلفتها الحضارة المصرية و البابلية، فلقد رسم العالم أناكسيمندر الميليسي Anaximandre de Milet (حوالي 610 ق.م - 546 ق.م) العالم على شكل قاعدة أسطوانية ، بينما تصوّر مواطنه أناكسيمنس على شكل مستطيل و ذلك في خريطته التي رسمها سنة 500 قبل الميلاد ، و لقد عبرت هذه التصورات عن فضاء يمتد من صقلية إلى بحر قزوين . و هو ما يعبر عن ضيق الأفق و محدودية الإدراك في ذلك الوقت، و انتظر الإغريق غزوات الإسكندر المقدوني لمعرفة شساعة الأقاليم الشرقية و يدركوا محدودية تصوراتهم السابقة. فلقد استطاع الإسكندر تأسيس امبراطورية شاسعة ضمت أقاليم الحضارات القديمة (بلاد الرافدين، فارس ، مصر و الهند) و من خلال التأثير المتبادل بين هذه الثقافات و الحضارات العريقة تشكلت أولى المدارس الجغرافية القائمة على أسس علمية متينة و خاصة في مدينة الإسكندرية التي كانت موطناً لأعمال الفيلسوف و الجغرافي الإغريقي إيراثوستان Ératosthène (276 ق.م- 194 ق.م) الذي صمّم أولى المقاييس الجغرافية الدقيقة ليأتي من بعده سترابون Strabon (64 ق.م- 25 ب.م) الذي ألف كتاباً عديدة و صف فيها الأقاليم المحيطة ببلاد الإغريق و صفا جغرافياً دقيقاً. بينما كان بطليموس Ptolémée (90 ب.م- 168 ب.م) أشهر جغرافي في العصور القديمة و أكثرهم تأثيراً على علماء العرب المسلمين و علماء الغرب من بعدهم.[2]

و ساهمت الإمبراطورية الرومانية في ترقية المعارف الجغرافية بفضل سيطرتها على البحر المتوسط و الذي سمّاه الرومان بحراً داخلياً (Mare Interim) و اعتبروه ملكاً لهم (Nostrum Mare أي بحرنا) و هو ما يدل على ظاهرة التمرکز الذي عرفتها مختلف الحضارات و أخذت طابعا أكثر وضوحاً عند الرومان، و زاد من توسع المعارف الجغرافية لدى الرومان شبكة الطرقات المعقدة التي شيدها طوال قرون سمحت لهم بربط مركز الدولة (روما) بأقاليمها الطبيعية و منه جاء العبارة (كل الطرق تؤدي إلى روما)

قام الجغرافيون المسلمون بنقل إرث بطليموس و طوروه حيث رسم البلخي و المقدسي أولى الخرائط العربية و جعلوا مكة محورا و مركزاً لها و لكن أعظم علماء الجغرافيا المسلمين كان أبو الريحان البيروني الذي استطاع إثبات كروية الأرض إثباتاً رياضياً حسابياً فريداً من نوعه.

و شكلت الكشوفات الجغرافية محطة أساسية في استكشاف فضاءات أخرى من العالم سمحت للبشر من الاتصال و التواصل، حيث أدى اكتشاف كريستوف كولومبوس لقارة أمريكا و جيمس كوك لقارة أوقيانوسيا إلى مسح شامل لسطح الكرة الأرضية.

تأثير المحددات الجغرافية في العلاقات الاجتماعية و السياسية.

لقد كان أرسطو من أوائل الفلاسفة الذين اجتهدوا في فهم البيئة الطبيعية (الجغرافيا) و من ثم دورها في التأسيس لعلاقات اجتماعية و سياسية محددة ، بحيث كان يعتقد أن العوامل الجغرافية و خاصة عاملي السكان و الموارد الطبيعية هما المحددان الأساسيان لقوة أو ضعف الدولة ، كما أن للمناخ دوراً في تحديد سلوك البشر، و ينطبق ذلك بالضرورة على الحياة السياسية، فسكان المناطق الباردة (حسب أرسطو) هم أقوام و شعوب قوية و شجاعة و لكنها تفتقر للذكاء و المهارة، بينما الشعوب الآسيوية تتمتع بقدر كبير من الذكاء و الفطنة لكنها تفتقر الى الشجاعة و القوة و هو ما يجعلها أكثر تقبلاً للاستبداد و الاستعباد.[3]

كما اعتبر مفكرو الدولة الرومانية أن من الأسباب التي جعلت الإمبراطورية الرومانية قوية و مهيمنة لقرون طويلة هو تمتعها بموقع ممتاز و مناخ معتدل و موارد متعددة.

كما استطاع بن خلدون من صياغة نظرية اجتماعية و سياسية متكاملة تنطلق من تصور عميق لقوة المحددات الطبيعية، من تضاريس و مناخ، و دورها في تحديد معاش الإنسان (نظامه الاقتصادي من رعي أو زرع أو صناعة) و ارتباط كل ذلك بما هو متاح و ممكن و تأثير ذلك على علاقات الناس بعضهم ببعض (نظرية العصبية). و ليفسر في الأخير نشأة الدولة و علاقتها بكل هذه العوامل.

و هكذا لا تزال النظرية الخلدونية قادرة على التوظيف العلمي للعوامل الجغرافية في فهم سلوك الدول، كما رأينا في السابق، بحيث أن الشعوب القادمة من بيئة صحراوية أو سهبية التي تعيش حياة بدوية (البداوة و الترحال) هي مجتمعات تتميز بالشجاعة و القوة و هي أكثر تضامناً و التحاماً (تقوم على العصبية) و هو ما يؤهلها للدخول في الصراع العنيف مع باقي العصبية للوصول الى السلطة (غاية العصبية الملك)، بينما تفتقر شعوب المدن و الحواضر و التي تسكن الأقاليم المعتدلة (السهول و الأراضي المنبسطة ذات الهواء المعتدل) الى روح العصبية و التضامن القبلي مما يجعلها عرضة للغزو من طرف الشعوب البدوية، و هو ما تؤكد شواهد تاريخية كثيرة و في مناطق مختلفة من العالم.

أما في أوروبا فلقد اعتبر جون بودان (القرن 16) أن للمناخ و التضاريس دور كبير و رئيسي في تشكيل الخصائص القومية للشعوب و سلوكها الاجتماعي و بالتالي فهي مسئولة عن شكل و طبيعة النظم السياسية المختلفة [4]

و لكن الفيلسوف الفرنسي مونتسكيو (القرن 18) هو أكثر من عالج مسألة العامل البيئي (الجغرافيا) و دوره في تحديد طبيعة النظم السياسية و قوانينها و ذلك في كتابه الشهير (روح القوانين) ، فلقد تمكن من صياغة نظرية سياسية متكاملة، و مما جاء فيها اعتبار سكان الأقاليم الباردة أكثر ميلا الى الحرية بينما يميل سكان الأقاليم الحارة الى حياة العبودية و الاستبداد. [5]

المحاضرة الثانية: تأسيس علم الجغرافيا السياسية.

يمكننا تحديد العوامل المؤسسة لعلم الجيوسياسية في 3 عوامل أساسية .

أولاً: العوامل التقنية: فيفضل تطور وسائل النقل و الاتصال الذي شهده القرن التاسع عشر أصبح الربط و التواصل بين جميع الأقاليم و البلدان ممكناً، إذ أدى ذلك إلى اختصار الوقت و تيسير الحركة و التنقل ، فأصبح العالم يشكّل فضاء موحداً واضح المعالم، و كل هذا التطور ما كان ليحصل بدون التقدّم الرهيب في المجال التكنولوجي (الملاحة، النقل البري، فتح المضائق البحرية..الخ).

ثانياً: العوامل الفكرية و العلمية: و نقصد بها النزعة العلمية الجديدة (le Scientisme) التي ميزت القرن التاسع عشر، و بخاصة النزعة الوضعية (le positivisme) التي كان أوغست كومت أهم روادها و التي كانت تعتقد أنّ الظواهر الاجتماعية تخضع لنفس القوانين الموضوعية التي تميّز الظواهر المادية و الطبيعية و بالتالي فإنّ تحليلها و فهمها يتطلّب كذلك تطبيق المنهج العلمي نفسه. و الداروينية الاجتماعية (darwinisme social) و هي التيار الفكري الذي حاول تبني مفاهيم داروين الأساسية و إسقاطها على العلاقات الاجتماعية، إذ أصبح العلم ينظر إلى المجتمع و الدولة ككائن حي تتحكّم فيه نفس القوانين التي تتحكّم في الكائن العضوي (النشوء، الارتقاء، الصراع و التنافس من أجل البقاء...الخ)، و هي نظرة أنثربولوجية طبيعية تنظر للإنسان و الدولة بنظرة مميّزة ساهمت في تشكيل فهم الجيوسياسيين الأوائل. [6]

ثالثاً: العوامل السياسية. و نقصد بها بروز الوعي أو الحس القومي الذي ساهم في بروز دول قومية جديدة في المسرح الأوروبي على أنقاض الممالك و الإمارات الإقطاعية (استقلال بعض الدول و توحيد الأخرى على غرار الوحدة الألمانية و الوحدة الإيطالية)، و ظهر مع هذه النزعة الجديدة (أو ساهمت في بروزه) التكالّب الاستعماري و التعطّش إلى احتلال أقاليم جديدة و فق اعتبارات قومية متطرّفة تريد إضفاء شرعية علمية على مشاريعها التوسّعية.

و هو ما أدّى في اعتقادنا إلى تسريع ظهور هذا الفرع العلمي الجديد أي الجغرافيا السياسية الذي أراد أن يشرعن (في أغلب الأحيان) التوجّه الجديد الذي عرفته الصراعات الدولية.

ما هو الجيوبوليتيك: تعتبر الجغرافيا السياسية (Géographie politique) فرعاً من الجغرافيا البشرية (Géographie humaine) التي تختلف عن الجغرافيا الطبيعية أو الفيزيائية (géographie physique)، بحيث تعنى الجغرافيا البشرية بدراسة العلاقة بين المجتمع البشري و بينته الطبيعية بينما تقتصر الجغرافيا الفيزيائية على دراسة العوامل الطبيعية من تضاريس و مناخ دون الاهتمام بعلاقتها بالإنسان.

و تأتي أهمية الجغرافيا السياسية من كونها اهتمت بمواضيع لم يمنحها علم السياسة في بداية تشكله اهتماماً كبيراً، فلقد كان علم السياسة مركزاً على دور العوامل المؤسسية و التنظيمية متجاهلاً في كثير من الأحيان ، البيئة التي تتم فيها العملية السياسية، و لهذا فالجغرافيا السياسية تعتبر فرعاً مكمل و ضرورياً في العلوم السياسية ، نستطيع من خلاله فهم سلوك الدول داخلياً (السياسة الداخلية) و خارجياً (السياسة الخارجية و العلاقات بين الدول) بحد سواء.

و عليه يمكننا القول أن علم الجغرافيا السياسية ظهر كعلم مستقل في أواخر القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين تنويجاً لجهود مجموعة من العلماء الألمان و الأنجلوساكسون. كما أنّه يمكننا اعتبار التعريف الذي قدّمه الجيوسياسي السويدي رودولف كيلين Rudolph Kjellén أبسط و أعم تعريف لهذا العلم الجديد فحسبه " الجيوسياسية هي العلم الذي

يدرس الدولة ككائن جغرافي *organismegéographique* أو ككيان في الفضاء أي بتعبير آخر الدولة كبلد، إقليم، قطاع أو سلطة. و كعلم للسياسة فهي تعنى و بقوة بمسألة وحدة الكيان السياسي و بفهم طبيعة الدولة. [7]

ملاحظة: رودولف كيلين هو أول من صاغ مصطلح (GeopolitikGéopolitique) بينما استخدم راتزل مصطلح الجغرافيا السياسية (géographie politique).

المنشور الثالث: المحاضرة الثالثة و الرابعة

المحاضرة الثالثة: الخرائط و دورها في التحليل الجيوسياسي

الخريطة هي تصوير مسطح لمجمل الأرض أو جزء منها، تظهر فيها مختلف المظاهر الواقعة في هذا الفضاء، ابتداء بالتضاريس و المناخ إلى إلى مختلف النشاطات البشرية.

و بما أنّ شكل الخريطة مسطح فهي غير قادرة على تمثّل الواقع الحقيقي، أي أنّه عندما نريد الاحتفاظ أو احترام الأبعاد الحقيقية لأحد التضاريس (كالجبال على سبيل المثال) فإنّه سيكون في المقابل تعديل في المسافات الحقيقية، و لكنّه بالرغم من ذلك تظل الخريطة أداة فعّالة في تصوير و إسقاط الواقع على سطح مسطح يساهم في توضيح معالم الفضاء المراد دراسته.

و بما أنّ الخريطة إسقاط تقريبي يحاول مطابقة الواقع إلى أبعد الحدود، فلقد تطورت الخرائط للوصول إلى خرائط أكثر دقة، فظهرت لهذا السبب أنواع مختلفة نذكر أهمّها:

- الخرائط ذات الإسقاطات المطابقة (projections conformes)
- الخرائط ذات الإسقاطات المعادلة (projections équivalentes)
- الخرائط ذات الإسقاطات المتساوية الأبعاد (Projections équidistantes)

و يرجع السبب الذي يقف وراء هذا التعقيد إلى طبيعة الأرض الكروية (البيضاوية على وجع التعقيد) و بالتالي فلا يمكننا اعتبار الخريطة المستوية المسطحة تعبيراً دقيقاً عن الشكل أو الحجم الحقيقي للأرض أو جزء منها.

يعتمد رسم الخرائط على اختيار السّم (échelle) الذي يمكن تعريفه بالنسبة الرياضية بين البعد الواقعي للفضاء المراد رسمه و إسقاطه على الورق. و تختلف هذه النسبة باختلاف المساحات المراد رسمها، فإذا كانت المساحة كبيرة جداً فالنسبة تكون صغيرة جداً و العكس بالعكس، و عند مطالعتنا للأطلس (Atlas) سنجد أنّ السلاّم متنوعة ، فمنها التي تحدّد منطقة صغيرة أو جهة، بلداً أو مجموعة من البلدان أو قارة من القارات أو الأرض بمجملها.

فالخريطة ذات السّم الصغير هي التي تكون أكبر من 1/1.000.000 و هي التي يتم فيها تصوير خريطة للعالم أو ككل أو لأحدى القارات أو لدول بحجم القارة كروسيا، الصين، كندا الولايات المتحدة الأمريكية، البرازيل و أستراليا. فالمساحة الكبيرة تتطلب سلماً صغيراً. و من خصائص هذه الخرائط أنّها تقدّم الظواهر ذات البعد العالمي أو الإقليمي ممّا يستدعي التركيز على العوامل الكبرى و تجاهل التفاصيل و الجزئيات. [8]

و هناك **الخريطة ذات السّم المتوسط** و هي الخرائط التي يكون السّم فيها واقعا ما بين 1/500.000 و 1/1.000.000 و هي خرائط خاصة بمجموعة من الدول أو دولة من الحجم المتوسط كفرنسا أو إسبانيا و هي خريطة تسمح بملاحظة الظواهر في بعديها الجهوي و الوطني.

أما الخريطة ذات السلم الكبير فهي التي تكون فيها النسبة متراوحة بين 1/100.000 و 1/500.000 و هي تصوّر بلدانا من أحجام صغيرة أو جهة ، فهي تسمح مثل سابقتها بملاحظة الظاهر في بعدها الجهوي و الوطني و الخريطة ذات السلم الكبير جدا و النسبة فيها تتراوح بين 1/10.000 و 1/100.000 و الصنفين الأخيرين يسمحان لنا بإظهار تفاصيل و جزئيات من غير الممكن إظهارها في الصنفين الأولين. و هناك سلالم أكبر و هي التي تكون فيها النسبة 1/1000 إلى 1/5000 و تسمى المخططات و أخرى أكبر تكون فيها النسب من 1/100 إلى 1/500 و تسمى الخرائط الجزئية **parcellaire** و هي ذات قيمة عملية لأنه بالإمكان إيضاح الكثير من الخصائص و التفاصيل الدقيقة كالطوبوغرافيا، الهيدرولوجيا، التموضع، شبكة المواصلات و الاتصالات، التجهيزات، و في السابق كانت مثل هذه الخرائط تسمى خرائط هيئات الأركان “cartes d'état-major” لأنها كانت توظف أو تستعمل من قبل القيادات العسكرية في مباشرتها للحروب، أما اليوم فهي مفيدة لقطاعات أخرى كالتهيئة العمرانية و الاستثمار فهي تَمس معاش الناس و شؤونهم اليومية.

نحتاج في علم الجيوسياسة إلى هذه الخرائط بدرجات متفاوتة بتفاوت القضايا التي ندرسها فقد نحتاج إلى الخرائط ذات السلم الصغير إذا كان الرهان عالميا أو إقليميا، أما إذا كان الرهان محليا فالتركيز لا بد أن يكون على الخرائط ذات السلم الكبير. و لناخذ على سبيل المثال النزاع في إقليم دارفور، و هو إقليم تقترّب مساحته من مساحة فرنسا، فاستعمال خريطة ذات سلم متوسط تسمح لنا بأخذ صورة شاملة تشمل التضاريس، المناخ، المجاري و المسطحات المائية، شبكة الاتصال و المواصلات، تموقع السكان و توزيعها ، نسبة التمدّن و الموارد الطبيعية. و إذا كانت الدراسة حول هذا النزاع تتسع لتشمل المعارك و المواجهات المسلّحة فلا بد أن نستشير خرائط أخرى يكون فيها السلم كبيرا أو كبيرا جدا أما إذا أردنا أن نفهم النزاع من زاوية أوسع تشمل تجاذباته الداخلية و الإقليمية فنحن بحاجة إلى استشارة خرائط ذات سلالم أصغر لأن المساحة المراد دراستها ستتجاوز إقليم دارفور بعشرة أضعاف لأنّ عناصر جديدة عبر قومية ستكون ضرورية لفهم هذا النزاع كالخريطة العرقية و الطاقة و طرق نقلها المحتملة.^[9]

أصناف الخرائط: هناك أصناف كثيرة من الخرائط نذكرها كالآتي:

الخرائط الفيزيائية : و تعنى بتصوير التضاريس، الشبكة الهيدروغرافية، الانفتاح على البحر ، المناخ، الغطاء النباتي، الموارد الطبيعية... الخ

الخرائط البشرية: و توضح فيها المجموعات العرقية، الكثافة السكانية، نسبة المواليد و الوفيات، التوزيع حسب النشاطات، التمدّن، مستوى المعيشة... الخ

الخرائط الاقتصادية: و تظهر فيها شبكة النقل، النشاطات الاقتصادية، مستوى التنمية، المحاور التجارية و حجم النشاط التجاري... الخ.

الخرائط السياسية: و تظهر فيها الحدود، دول الجوار، التكتلات الإقليمية، التحالفات العسكرية، المنظمات الدولية... الخ.

الخرائط الثقافية: و تظهر فيها الدوائر الحضارية، التاريخ، المجموعات اللغوية و المجموعات الدينية... الخ.

أمثلة نموذجية عن أصناف الخرائط:

1. الخرائط السياسية

المصدر: <https://www.sangonet.com/afriqg/CartepolAfrique.html>

تاريخ الولوج: (2016/05/18).

• 2- نموذج لخريطة فيزيائية لتضاريس الجزائر

المصدر: http://www.cartograf.fr/images/map/pays-algerie/algerie_carte_relief.gif

(تاريخ الولوج: 2016/05/15)

المحاضرة الرابعة: الموقع الجغرافي

يحتاج التحليل الجيوسياسي إلى معرفة جيدة بالمكان أو الموقع الذي تقع فيه الأزمة أو النزاع أو أي حادث له تأثير على مجريات الأحداث، و لهذا تتم تسميته في بعض الأحيان مجازا بمسرح الأحداث، و عليه فالاستعانة بأطلس جغرافي هي أكثر من ضرورية في هذا المقام.

تسمح لنا المعطيات الجيوديزية (علم مساحة الأرض) بتحديد خطوط الطول و العرض و الارتفاع عن سطح البحر، ومختلف الخصائص الفيزيائية، فهي معطيات تحدّد طبيعة المناخ الذي يؤثر بدوره على الكثافة السكانية و الاقتصاد، إذ أنّ الاتجاه السائد هو ميل الإنسان إلى العيش و الإقامة في المناطق المعتدلة المناخ و السهلة التضاريس، و هي بالإضافة إلى ذلك معطيات ذات أهمّية قصوى في الميدان العسكري (مسرح المعارك)، فمعرفة الموقع بالتدقيق تتيح لنا إدراك قيمته الإستراتيجية.

يمكننا تحديد ثلاثة أصناف من المواقع أو الحالات الجغرافية (أو الجيوسياسية عندما يكون الحديث متعلّقا بالدولة)، فهناك أقاليم محاطة بالمياه (situation d'insularité) على غرار الجزر أو مجموعة من الجزر (الأرخبيل)، و هناك أقاليم لها سواحل بحرية و هي الأقاليم المشاطئة (situation de littoralité) و هناك أقاليم لا تتمتع بأي منفذ بحري إلى البحار المفتوحة و هذه الأقاليم تسمّى الأقاليم المحصورة أو الحبيسة (situation d'enclavement).

يشكل الانفتاح نحو البحار بدهاءة أفضلية إستراتيجية واقتصادية لأنه يسمح للإقليم المنفتح من الاستفادة من الثروات الطبيعية (الصيد البحري، المحروقات..الخ) كما أنه يمنح للدولة قدرة أكبر على الانخراط و الاندماج في المبادلات التجارية الدولية، دون اللجوء إلى أطراف وسيطة (intermédiaires) كما أنه يسمح لهذه الدول بتطوير سياحتها و توفر لها القدرة على التدخل في الشؤون الدولية، لكن هذه الأفضلية تظل كامنة إلى حين التمكن من استثمارها استثماراً جيداً، و هو ما يسمى بتأمين العامل الجغرافي *rentabilisation du facteur géographique* ، فهناك دول استطاعت أن تستثمر موقعها البحري الاستراتيجي، بينما عجزت أو فشلت دول أخرى.

فالانفتاح على البحر كما هو الحال بالنسبة لكثير من الدول الجزرية، قد يشكل أفضلية واضحة مقارنة بحالات جغرافية مغايرة، و لكنه قد يتحول إلى عامل يهدد أمن و استقرار الدول، لأنها ستكون محل أطماع الدول الأخرى، و لنأخذ على سبيل المثال بريطانيا العظمى، فهذه الأخيرة ظلت لقرون طويلة تعيش في حالة من الخوف المصاحب للتهديد المستمر من قبل دول الجوار، غير أن آخر محاولة ناجحة لغزو بريطانيا كانت تجربة الغزو النورماندي سنة 1066، بينما فشلت كل المحاولات اللاحقة، على غرار المحاولة التي قادها فيليب الثاني ملك إسبانيا سنة 1588 و التي جهّز فيها أضخم أسطول بحري على مرّ التاريخ (l'armada invincible) و لكنّه و لحسن حظ بريطانيا فلقد عملت العواصف و الأعاصير البحرية على تحطيم عدد كبير من سفن هذا الأسطول و شتتت الأخرى و لولا ذلك لأضحت بريطانيا مستعمرة إسبانية. و يمكننا القول أن محاولة الغزو الإسباني شكّلت أكبر تحدٍ وجودي لبريطانيا و هو ما جعل ملوك بريطانيا بعدها يعملون على تكريس التفوق و الهيمنة على الملاحة البحرية الدولية و تنشيط الحركة الاستعمارية ليتفوقوا على الإسبانين و البرتغاليين رواد الكشوفات الجغرافية السابقة.^[10]

شرح المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي Arnold Toynbee هذه الظاهرة بإسهاب كبير في مؤلفه الضخم *Study of History* و اعتبر أن الموقع البريطاني شكّل تحدياً ضخماً للشعب و صناع القرار البريطانيين فكان لزاماً عليهم الاستجابة له و دفعه، و بدلاً من انتظار الغزو الخارجي كان لا بد من تأهيل و استثمار هذا الموقع ليكون رافداً للقوة البريطانية و ليس العكس، إذ أن الهيمنة البحرية البريطانية هي التي جنّبتها خطر الغزو في لحظات تاريخها الحديث، إذ حاول نابليون غزو بريطانيا سنة 1803 دون أن يكفل ذلك بنجاح يذكر، بل إن التفوق الملاحي البريطاني هو الذي حجّم من التوسّع الفرنسي في غرب و جنوب القارة الإفريقية. كما أن بريطانيا هي الدولة الوحيدة في غرب أوروبا التي استطاعت مجابهة التحدي النازي في الحرب العالمية الثانية.

منحت اتفاقية Montego Bay التي أصدرتها الأمم المتحدة و المنظمة لقانون البحار حقوقاً سيادية و استغلائية للدول المشاطئة ، منها ما تمارس فيه الدولة حقاً سيادياً خالصاً و منها ما تمارس فيه حقوقاً نسبية، إذ تصبح للدول مياه إقليمية (eaux territoriales) لمسافة تصل إلى 12 ميل بحري (22.224 كم)، تمارس الدولة المشاطئة فيها سيادة مطلقة، بالإضافة إلى منطقة اقتصادية خالصة (zone économique exclusive) تصل إلى حدود 200 ميل بحري (370.4 كم) و هنا للدولة المشاطئة في استغلال الموارد المائية و الثروات المتواجدة في جرفها القاري (plateau continental) و هنا لا بد أن نشير إلى وجود تعقيد يطرح بسبب وجود تداخل بين المياه الإقليمية أو المنطقة الاقتصادية الخالصة بالنظر إلى تجاور و تقارب البلدان المشاطئة في كثير من الأحوال فتتردد قراءات و تأويلات مختلفة للنصوص القانونية المنظمة للحقوق السيادية و حقوق الاستغلال، خاصة في البحار التي اكتشف فيها النفط أو الغاز، و هو ما سيشكل عوامل تنازعية مستقبلية على غرار ما يحدث في شرق البحر الأبيض المتوسط (لبنان-إسرائيل)، (قبرص-اليونان- مصر، تركيا، إسرائيل) و هو ما سيجعل الدول تدخل في رهانات و تحالفات قصد الاستفادة القصوى من الثروات الطاقوية المكتشفة. و على غرار ما يحدث في بحر الصين بين جمهورية الصين الشعبية و جيرانها كالفلبين، فيتنام، اندونيسيا و ماليزيا.^[11]

و عند الحديث عن البحار لا بد من الإشارة إلى الملاحة الدولية و أهميّة المضائق (مضيق ملقا في جنوب شرق آسيا و مضيق جبل طارق غرب المتوسط، البوسفور و الدردنيل) أو القنوات البحرية العالمية التي تصل البحار بعضها ببعض (قناة السويس الرابطة بين البحر الأحمر و البحر الأبيض المتوسط، و قناة بنما الرابطة بين المحيط الأطلسي و المحيط الهادي و التي بفضلها أمكن الربط بين شرق الولايات المتحدة الأمريكية و غربها بل إن الولايات المتحدة و من خلال رئيسها Théodore Roosevelt هي التي شجّعت فصل بنما عن كولومبيا في نوفمبر 1903 وذلك لخلق دولة صغيرة و تابعة لا تستطيع مقاومة الرغبة الأمريكية في السيطرة على القناة الجديدة و الحيوية في الوقت نفسه).^[12]

و تعتبر مسألة البحار المغلقة كبحر قزوين واحدة من أعقد المسائل الجيوسياسية التي عرفتها العلاقات الدولية بعيد تفكك الاتحاد السوفييتي، فبعدها كان بحر قزوين بحراً تنقسمه دولتان فقط هما جمهورية إيران و الاتحاد السوفييتي إلى غاية 1991، تغيّر الحال بدخول أطراف جديدة متكوّنة من بعض جمهوريات الاتحاد السوفييتي المستقلة و هي كازاخستان،

تركمنستان، أذربيجان بالإضافة إلى روسيا الفيدرالية و إيران، و كما هو معلوم، فزيادة عدد اللاعبين أو الفواعل الدولية يساهم بالضرورة في تعقيد قواعد اللعبة، و بالفعل فاكتشاف النفط و الغاز في بحر قزوين جعل كل دولة من بين دوله تريد الحصول على أكبر قدر من الفوائد على حساب الدول الأخرى، و هنا تظهر صعوبة الاتفاق على نظام قانوني موحد لبحر قزوين، خاصة عندما نعلم أن روسيا و إيران لم تكتشف في جرفهما القاري موارد معتبرة من النفط و الغاز مقارنة بالدول الثلاثة الأخرى. و هو ما يجعل المنطقة تدخل في صراع جيوسياسي عميق لم تستطع تجاوز تبعاته.[13]

و بما أن الإطلال على البحر يحقق للدول امتيازات اقتصادية و سياسية و إستراتيجية عديدة، فانعدامه يكون بالضرورة عكس ذلك، فالانحصار الجغرافي (l'enclavement géographique) يجعل الدول الحبيسة في موقع ضعف من الناحية الاقتصادية و الإستراتيجية لأنه يجعلها خاضعة أو تابعة لإرادة دول الجوار المطلة على البحر، و الدول الحبيسة و التي يبلغ تعدادها 48 دولة هي الدول المحرومة من الاتصال بالبحار المفتوحة، لأن البحار المغلقة على غرار بحر قزوين لا تمكن الدول المطلة عليها أن تتصل بالعالم الخارجي دون اللجوء إلى جيرانها و هو ما نلاحظه في كل من جمهورية أذربيجان، تركمنستان و كازاخستان، التي تحتاج إلى دول الجوار لتصريف مواردها الطاقوية من غاز و نفط. (أنظر الشكل الآتي)

الخريطة رقم 2: أنابيب نقل النفط و الغاز في منطقة آسيا الوسطى و القوقاز

المصدر: <http://www.ladocumentationfrancaise.fr/dossiers/mer-caspienne/carte-oleoducs-gazoducs.shtml> (تاريخ الولوج: 2006/05/12)

يعتبر الانحصار الجغرافي عاملا أساسيا في فهم و تفسير توجهات السياسة الخارجية للدول الحبيسة، فالبحث عن منافذ إلى البحر قد يقودها إلى صراعات مع دول الجوار، و أشهر صراع من هذا المنوال هو النزاع الإثيوبي- الأريتيري، فعدم امتلاك إثيوبيا لمنافذ بحرية جعلها تطمح أو تطمع في ضمّ الأراضي الأريثيرية موظفة في ذلك حجمها و قوتها الديمغرافية للاستقواء على جارتها الصغيرة المطلة على المحيط الهندي. [14]

فلا يمكننا مثلا فهم طبيعة و توجهات كثير من الصراعات و النزاعات الدولية دون الأخذ بعين الاعتبار هذا العائق، ففي منطقة البلقان حاول الصرب طيلة قرون من الوصول إلى سواحل البحر المتوسط، و لم يتأتى لهم ذلك إلا من خلال انضمامهم إلى كونفيدراليات أو فيدراليات على غرار الاتحاد اليوغسلافي الذي استمر إلى مطلع التسعينيات أو اتحادها مع جمهورية الجبل الأسود بعدها، و لكن انفصال هذه الأخيرة سنة 2006 أعاد جمهورية صربيا إلى وضعها الجغرافي و الجيوسياسي السابق. [15]

و في منطقة القوقاز لا يمكننا فهم التجاذبات و التحالفات التي تعقدها دول القوقاز الجنوبي أي جمهورية أرمينيا، جمهورية جورجيا و جمهورية أذربيجان دون الأخذ بعين الاعتبار وضعها الجغرافي المعيق لانفتاحها على العالم الخارجي، لهذا ظلت دول الجوار و بخاصة تركيا و روسيا الفيدرالية تستغلان هذا الوضع للتقارب مع أحد الأطراف على حساب الطرف الأخر، و هو ما نراه جليا في النزاع على مرتفعات ناغورنو كاراباخ. [16]

[1]YanneCaralec " Histoire de la cartographie", in http://www.sabix.org/bulletin/b39/histoire_cartographie.pdf, consulté le 10/05/2015. 15:45.

[2]Christian Jacob," La diffusion du savoir géographique en Grèce ancienne", in Géographie et Cultures, 1/1992, p.95.

[3]Aristote , *La Politique* , Introduit et traduit par Jules Tricot, Paris, Vrin, 1995, p.85.

[4]Richard Spavin, " Les symboles politiques du climat: Bodin,Montesquieu,Rousseau", Thèse présentée en vue de l'obtention du diplôme de Doctorat en philosophie, Département d'Etudes françaises, Université de Toronto, (2014), p.116.

[5]Ibid.p.164.

[6]Sophie Chautard, *L'indispensable de la Géopolitique*, Paris, FNAC, 2006, 19.

[7]Pascal Boniface, La Géopolitique , Les Relations internationales, Paris, IRIS,EYROLLES, 2011,p.20.

[8]

[9] Patrice Gourdin, Manuel De Géopolitique, éd., Diploweb.com, <https://www.diploweb.com/Preface-Avertissement-au-lecteur.html>, (consulté le 15/8/2015).

[10]<https://www.diploweb.com/Preface-Avertissement-au-lecteur.html>(consulté le 16/8/2015).

[11]François, Bafoil, " Les conflits en mer de Chine méridionale", in <http://www.sciencespo.fr/ceri/fr/content/dossiersduceri/les-conflits-en-mer-de-chine-meridionale> . consulté le 26/06/2016.

[12]Alexandre Chevalier, " Enjeux géopolitiques du Canal de Panama",in<http://www.esprit-ri.fr/enjeux-geopolitiques-du-canal-de-panama/> consulté le 28/06/2016.

[13]PhillipeReckacewic, " Géopolitique des tubes en Asie centrale", Le Monde Diplomatique, Fevrier,2011,p.6.

[14]Gérard Prunier, " L'Ethiopie contemporaine "; Paris, Karthala, 2007, p.171.

[15]Xavier Bougarel, *Bosnie, anatomie d'un conflit*,Paris, La Découverte, 1996,p.121.

[16]Viatcheslav Avioutskii, *Géopolitique du Caucase*, Paris, Armand Colin, 2005, p.12